الفصـــل الثانـــى

رينيه ديكارت
(التفكير العقلى)

١ – حياته
٢ – كتبه
٣ – فلسفته وأفكاره
٤ – منطق ديكارت ومنهجه
٥ – الشك والعودة إلى اليقين
٦ – النفس والجسم (ثنائية الوجود)
٧ – قيمة العقل عند ديكارت
٨ – ملاحظات نقدية على آراء وفكر ديكارت

رينيه ديكارت Rene Descarts
(١٥٩٦ - ١٦٥٠م)

١ - حياتــه:

فى ٣١ مارس ١٥٩٦م ولد ديكارت فى (لاهاى) احدى القرى الرئيسية بمقاطعة (تورين) بفرنسا وهو ينتسب إلى أسرة من طبقة الأشراف حيث كان والده عضوا ثريا فى البرلمان الفرنسى. ومن سوء حظه أن ماتت أمه ولم يكن قد جاوز عامه الأول. وقد ماتت أمه بمرض السل، فورث عنها ضعفا وسـعالا لازماه حتى سـن العشـرين. ولكن والده أسند أمر تربيته ورعايته إلى مربية أخذت تدلله حتى جعلت منه حبيبا رقيقا.

فى سـن الثامنة الحقه والده بمدرسـة لافليش La Fleche اليسوعية والتى كانت تعتبر من أهم وأشـهر المدارس الأوربية فى ذلك الوقت وقد تلقى العلم والمعرفة فيها على ايدى مدرسـين مشـهود لهم بالكفاءة. وقد عاملـوه معاملة طيبة وكريمة تقديرا لظروفـه وحالته الصحية الضعيفة، وتقديرا أيضـا لمواهبه العقلية وذكائه. ولذلك كانوا يتركونه فى فراشـه إلى سـاعة متأخرة فى الصباح يتلقى الدرس فى الوقت الذى يتلقى باقى الطلبة دروسـهم فى حجرات الدراسة. ونتيجة لذلك، كان من المتفوقين وأوائـل فصله. وقد درس ديكارت فى هذه المدرسـة كل المواد الضرورية لتكويـن رجل مثقف.. فـدرس اللغات القديمة، والأدب شـعرا ونثرا، ودرس التاريـخ والجغرافيـا، والفلك والرياضيات، والطب والتشـريح،

والفلسـفة واللاهوت. درس ذلك كله ولم يناهز العشرين من عمره. ولكنه يقول إنه لم يطمئن إلا إلى الرياضيات من بين كل ما درسـه. فهى العلم الجديـر بالعناية والتقدير، ويرجع ذلك إلى مـا فى براهينها من اليقين والوضوح. وإلى جانب الرياضيات هناك السمعيات والأمور المنزلة من عند الله، فهى أيضا تعطينا اليقين، ولو أنه يقين من نوع آخر.

ولما رأى ديكارت أن هذه المواد التى درسـها ناقصة لا تشـبع نهمه للمعرفة اليقينية. اجتهد فى طلب علم جديد يكتشفه هو بنفسه ويهتدى إليـه فى سـفر الكون العظيم الملئ بالآيات. ومـن هنا قام بعدة رحلات مـترددا على قصور الملوك والأمراء، وانخرط فى سـلك الجيوش وخاض بعـض المعارك الحربية، وخالـط الناس.. وذلك من أجل أن يرتشـف التجربـة النافعة من منبعها، ويسـتطيع أن يميز بين الخطأ والصواب، وينفذ إلى صميم الحقيقة ببحثه الشـخصى وجهده الذاتى. ولذلك قضى شطرا كبيرا من حياته راحلا متنقلا. التحق بجيش «**موريس دى ناسو**» من كبار القادة العسـكريين فى هولندا فى ذلـك الوقت. ثم ترك هولندا راحـلا إلى ألمانيـا، ثم إلى إيطاليا وسويسـرا. وكان فى خلال ذلك يعود إلى فرنسـا فى زيارة قصيرة لأمر شـخص أو طلب علمى. وظل على هذه الحال مدة عشر سنوات قضاها فى اضطراب عقلى وقلق نفسى لا يستقر فى مدينة إلا ويرحل عنها إلى أخرى وهكذا.

ولما جاوز الثلاثين من عمره بعد هذه الحياة المطربة والرحيل المستمر واحساسـه بأنه قد أتم تثقيف نفسـه وخلص فكره من الأخطاء الشائعة ونضجـت آراءه وأفـكاره، واكتملت خبرته وتجاربه، رأى أن يسـتقر

فذهب إلى هولندا طالبا الهدوء والسكون من أجل البحث والدراسة والتأمل العميق. وفى هولندا قضى نحو عشرين عاما لم يتركها إلا قليلا فى زيارات خاطفة إلى فرنسا وفى هذه الفترة تمكن ديكارت من تدوين معظم مؤلفاته وكتبه وارسى دعائم فلسفته الجديدة.

فى عام ١٦٤٩م طلبت منه «كريستينا» ملكة السويد أن يحضر إليها لكى تتلمذ على يديه وتأخذ عنه العلم والمعرفة خيث كانت شغوفة بالدراسة والفلسفة ولكنه لم يهتم بذلك، ولكن مع الحاحها عليه، سافر إلى السويد. ولكن نظرا لانشغالها طوال اليوم فى العمل فقد طلبت منه الملكة ان يكون الدرس فى الساعة الخامسة صباحا. إلا أن الجو فى السويد كان باردا شديدا قارسا لم يتحمله جسم ديكارت الضعيف وصحته العليلة، وما هى إلا أيام حتى عاجله برد شديد تحول إلى سل أودى به فمات فى ١١ فبراير ١٦٥٠م.

تلك هى حياة ديكارت التى استغرقت حوالى ٥٥ عاما، وما يلفت النظر فيها حادثة مشهورة وقعت له، كانت بمثابة النور الذى ايقظه وهداه إلى الطريق السليم والحل الأمثل فى تجديد الفلسفة. وتعرف هذه الحادثة بأسم «**حادثة المدفأة**» حيث كان فى ألمانيا فى بداية شتاء عام ١٦١٩م ونزل فى غرفة دافئة بمنطقة نائية لا يوجد فيها أنيس أو صديق.. وقد قضى نهاره متأملا مفكرا فى المعرفة الانسانية وتكوينها، والعقل وتصوره وتمنى لو وجد الانسان السبيل إلى تحصيل المعرفة كلها عن طريق العقل. ولما جاء الليل وذهب إلى فراشه للنوم، عاودته هذه الأفكار أو الأحلام فى منامه. ورأى كأن هاتفا يدعوه إلى السير فى طريقه

ووضع دعائم العلم والفلسفة الجديدة. وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أم لا، فأن مغزاها يتمثل فى أن ديكارت كان يعيش فى قلق نفسى ويمر بأزمة عقلية وروحية خالصة سواء فى يقظته أم حتى فى نومه. ومنذ تلك الليلة الموعودة توصل ديكارت إلى الحل الأخيلر والوسيلة الناجحة، وهى اختراع منهج رياضى عام يطبق على سائر العلوم المختلفة، أعد نفسه لتحقيقه وبلوغ غايته.

ومن الجدير بالذكر أن ديكارت كان دائما يعرض ما يكتبه قبل نشره على زملائه وأصدقائه من العلماء ورجال الدين حتى يطمئن مقدما. وكان ينشر انتقادات النقاد ورده عليهم فى مؤلفاته.

ومن الملاحظ أيضا أنه لم يكتب فى السياسة أو يشتغل بها تجنبا للقيل والقال وابتعادا عما يعكر صفو حياته الهادئة.

٢ - كتبه:

كانت جهود ديكارت مركزة تقريبا على الفلسفة، ولذلك فانه لم يستوف أو يلم بكل أطراف الفلسفة. ومن الغريب أنه كان يخفى الكثير مما يكتب خوفا من سلطان رجال الكنيسة بعد أن رأى وسمع ما حدث لجاليليو حيث كان له رأى مشابه لرأى جاليليو ى دوران الأرض وقد دفعه هذا الخوف ايضا إلى عرض مايكتبه أولا على أصدقائه لكى يقولوا رأيهم فيه قبل نشره وأهم كتبه هى:

أ - مقال فى المنهج:

أذاعه عام ١٦٣٧م وكان له اسم آخر طويل إلا إنه استبدله بهذا الأسم. وفى هذا الكتاب جزء يحوى «**اعترافات ديكارت**» حيث يشرح

فيــه تاريخ حياتــه الروحية وما مر به من أزمات. وهو فى ذلك يشــبه «**روســو والغزإلى**» وفى جزء آخر من الكتاب يوضح قواعد المنهج عنده، كمــا يتحدث عــن الأخلاق ويعرض المشــكلة الميتافيزيقيــة المهمة التى تعرض لها وهى مشكلة «أنا أفكر إذن فأنا موجود» كذلك يعرض لبعض تجاربه العلمية.

ب - تأملات فى الفلسفة الأولى:

نشــره باللاتينيــة عام ١٦٤١م، ثــم ترجمه الــدوق «**دى لوين**» إلى الفرنسية بعد ذلك. وفى هذا الكتاب يهتم ديكارت بالبرهنة على وجود الله ووجود النفس. وهذا الكتاب عرضه على بعض الفلاسفة واللاهوتيين قبل نشره ليستطلع رأيهم فيه، وقد نشر ملاحظاتهم عليه وردوده عليهم حتى يحظى بالقبول من رجال الدين بصفة خاصة.

جـ - مبادئ الفلسفة:

نشــره باللاتينية عام ١٦٤٤م، ثم ترجم بعد ذلك إلى الفرنســية. وقد أراد من رجال السوربون أن يقرروا هذا الكتاب على الطلاب فى الجامعة حتى يحل محل أرسطو فى الفلسفة، ولكنهم لم يحققوا له هذه الرغبة. وقد تكلم فى هذا الكتاب عن نظرياته الطبيعية وفى الترجمة الفرنســية التى ظهرت عام ١٦٤٧م أرفق بها اهداء إلى الأميرة اليزابيث، ورســالة إلى المترجــم عرض فيها فلســفته عرضا عاما وبــين وجه الاختلاف بين فلسفته والفلسفة القديمة.

د - رسالة فى انفعالات النفس:

وهو آخر ما نشـره فـى حياته وكان ذلك عـام ١٦٤٩م. وهو كتاب فى الأخلاق كتب فيه رسـائل إلى الأميرة اليزابيث ابنة «فردريك» ملك بوهيميا، المخلوع عن عرشـه واللاجئ إلى هولندا، يوضح فيها رأيه فى المشكلة الأخلاقية التى كانت تشغل تفكيره منذ أن كتب كتابه الأول.

وهنـاك كتـاب ألفه فى بداية تفرغـه للكتابة تحت عنـوان العالم عام ١٦٣٣م وقـد ضمنه بعض الآراء التـى اتفق فيها مع اراء جاليليو وكامبانيلا حول دوران الأرض وبعض ظواهر الكون الأخرى ولكنه خاف على نفسه من بطش رجال الكنيسـة به كما حدث مع جاليليو وقد نشـر هذا الكتاب بعد وفاته بنحو سـبعة وعشـرين عاما أى فى عام ١٦٧٧م. ونجد ملخصا لهذا الكتاب فى القسم الخامس من كتابه الأول بعنوان مقال فى المنهج.

تلـك هى مؤلفـات ديكارت، ومما لا شـك فيه أنهـا أحدثت ثورة وقف صدورها ورسمت للباحثين خطة الفلسفة الجديدة المنشودة. ويعتبر الكتاب الأول مقال فى المنهج أهم كتبه وأشـهرها وقد ترجم إلى اللغات الأوربيـة الأخرى، كما ترجم إلى العربية ايضا. أما كتاب التأملات فهو فى نظر بعض النقاد أهم كتبه بسبب غزارة مادته وعمق أفكاره.

٣ - فلسفتـه:

أراد ديكارت أن يجعل فلسـفته جديدة تمامـا، ومن أجل ذلك ثار على الفلسـفة القديمة التى استولت على عقول الناس، وعارض أرسطو وفلسـفته التـى أصبحـت لا تلائم العلـم الحديث فـى أى جانب من

جوانبها، ولا ترضى العقل ولا تتفق مع الدين. ومن الجدير بالملاحظة أن ثورة ديكالرت الفلسفية صدرت عن الرياضيات واعتمدت عليها فى كل مراحلها وتأثرت بها فى مختلف نواحيها، والفلسفة عنده هى العلم الكلى وهو يقول فى تقسيمها:

«إن قسمها الأول الميتافيزيقا، وهى تشتمل على مبادئ المعرفة التى فيها تفسير أهم صفات الله وروحانية نفوسنا وجميع المعانى الواضحة المتميزة الموجودة فينا. والقسم الثانى العلم الطبيعى، وفيه بعد أن نكون قد وجدنا المبادئ الحقة للماديات، نفحص عن تركيب العالم على العموم، ثم على الخصوص عن طبيعة هذه الأرض وجميع الأجسام.. وبالأخص عن طبيعة الأنسان، حتى يتسنى لنا استكشاف سائر العلوم النافعة له.

وعلى ذلك فالفلسفة كلها بمثابة شجرة، جذورها الميتافيزيقا، وجزعها العلم الطبيعى، وأغصانها باقى العلوم، وهذه ترجع إلى ثلاثة كبرى، أعنى الطب والميكانيكا والأخلاق، أى أعلى وأكمل الأخلاق التى تفترض معرفة تامة بالعلوم الأخرى، والتى هى آخر درجات الحكمة.. «من كتاب مبادئ الفلسفة».

هذه الفلسفة الجديدة التى اعتمدت العقل أساسا ومصدرا لكل معرفة هى التى أستحق أن يلقب ديكارت بسببها «**أبو الفلسفة الحديثة**» وسوف نعرض لبعض فلسفته على النحو التالى:

٤- منطق ديكارت ومنهجه:

كان ديكارت شـغوفا بالرياضيات وقد ساعده ذلك على اكتشافه لعلم «الهندسة التحليلية» ويقوم منطقه ومنهجه على مجموعة من القواعد هى باختصار:

أ - البرهنة الرياضية والأستدلال القياسى:

يعتقـد ديكارت أن هـذه القاعدة تصلح لقيادة الفكر الأنسـانى نحو الحقيقـة حيـث إن البرهنة الرياضيـة تتضمن ميزاتين همـا: النظام، وارتباط الأفكار بعضها ببعض، حتى نصل من المقدمات إلى الحقيقة.

ب - الحدس والقياس:

هما طريق المعلومات الثابتة وأسـاس البرهنة السـليمة والحدس عند ديكارت هو النور الإلهيأ والغريزة العقلية أو الإلهام الذى يوصلنا مباشرة إلى الحقيقة. أما القيلس فهو اثبات قضية ما بواسطة مبادئ عامة تصدق عليهـا. وهو يعتبر أن القياس عنده غير القياس الذى كان عند أرسـطو حيـث إن القيـاس عنده يعتمد على الحـدس أو الألهام الذى يؤدى إلى قضايا يقينية صادقة.

جـ - قواعد المنهج الأربعة:

أخذ ديكارت على عاتقه أن يحدد للباحثين قواعد المنهج التى تؤدى فى النهاية إلى إدراك الحقيقة. وهذه القواعد الأربع باختصار هى:

١ – قاعدة الوضوح والبداهة.

٢ – قاعدة التحليل أى تحليل الظاهرة إلى عناصرها الأولية.

٣ – قاعدة التركيب أى إعادة الأفكار أو العناصر الأولية إلى حقيقة كاملة.
٤ – قاعدة التثبت والتأكد من صدق النتيجة التى توصلت إليها.

تلـك هى قواعد المنهج عند ديكارت وهى تقوم على وضوح الفكرة ثم تحليـل الفكرة، ثم اعادة تركيبها منطقيـا، والتثبت والتحقق من صدق النتيجة التى تم التوصل إليها.

وقد انتقد العلماء ديكارت فى قاعدة الوضوح باعتبترها مقايسا للحقيقة، حيث اعتبروا الوضوح أمر نسبيا متغيرا، من شخص إلى آخر، بل من بيئة لأخرى وبهذا لا يمكن الاعتماد عليه باعتباره مقياسا للحقيقة. وإلا كانت الحقيقة نسبية متغيرة.

٥ - الشك والعودة إلى اليقين:

الميتافيزيقـا أو علـم مـا وراء الطبيعة هى علم الوجـود فى مختلف نواحيـه. حيث لا فرق فى ذلك بين وجود الله، ووجود النفس، ووجود العالم الخارجى ولكن هذه الأنواع من الوجود قد يصيبها أخطاء عديدة، أو يشـوبها أوهام كثيرة، فعقلنا مثلا مشـحون باحكام تعودنا عليها من عهـد الطفولة أو تلقينها من المعلمين قبل أن يتم النضج والرشـد. كذلك العلوم نجد أنها قد تكونت ونمت تدريجيا بتأثير أناس مختلفين، حتى إنها تبدو كما لو كانت كالثوب الملفق أو البناء المرمم.

وعلـى ذلك.. فاذا أردنا أن نصل إلى يقـين ثابت، علينا أن نرفض مـا تعودنا عليه من أفكار وآراء، ونطرح كل ما دخل عقلنا من معارف. ونشـك فى كل طرق العلم وأسـاليبه. اننا مضطرون لأن نشـك فى كل

شيء، ذلك لأن الحس يخدعنا، والحقائق التى تؤمن بها معرضة لتأثير المخيلة والوهم.. بل أكثر من ذلك.. نحن نخطئ فى البرهنة والأستدلال. وما يكون عرضة للخطأ يزول عنه كل يقين.

ويرى ديكارت أنه ربما كان هناك روح خبيث قدير، أو شيطان ماكر يبذل كل ما فى وسعه فى خداعى، فيصور لى الحق باطلا، والباطل حقا لدرجة أننى قد أخطأ حتى فى أبسط الأمور وأوضحها، مثل أن أضلاع المربع أربعة، أو اثنين وثلاثة يساوى خمسة يرى ديكارت أنه فى حاجة إلى رفض كل ما اكتسبه من آراء وإلغاء كل ما اعتنق من أفكار، ثم يعرض ذلك كله على بساط البحث، ويختبره بمخبار «الشك»، ويضعه تحت تصرف العقل وحكمه.

ويشبه ديكارت هذا الموقف بسلة مملوءة بالتفاح فيه الجيد، وفيه الفاسد، وما عليه الا ان يفرغ السلة كلها ثم يختار التفاح الجيد واحدة بعد أخرى ويضعه فى السلة، حتى يصبح كل ما فى السلة تفاحا جيدا. وفى هذا الموقف نجد أن الشك هنا مقياس الحقيقة، ووسيلة فحص الأفكار. كما أن هذا الشك لا يكون مفيدا ونافعا إلا إذا كان صادرا عن: إرادة حرة حرية تامة وحازمة.

ونستطيع القول هنا.. إنه إذا كان الشك الديكارتى هو أول خطوة فى فلسفته، أمكننا أن نقرر أن هذه الفلسفة.. تبدأ بفعل حر.. ذلك لأن الحرية عنده شرط ضرورى.. للتفكير الكامل والنقد الصحيح.

وهكذا نجد أن النقاد فى تقييمهم للشك الديكارتى.. يعتبرونه منهجا عقليا، ومجهودا منظما هدفه التمييز بين ما هو خطأ وما هو صواب،

وإحلال هدوء اليقين محل الحيرة، كما إنه وسيلة من وسائل تطهير العقل وتصفيته.

ويرى ديكارت أنه مهما كان الشك فى وجود العالم وفى وجود الله فأن هناك حقيقة واحدة وهى أنه هناك ذاتا أو نفسا تشك، ولما كان هذا الشك نوعا من التفكير فإننى لا استطيع أن أفكر أو أشك فى أننى أفكر. ومن البدهى أننى لو لم أكن موجودا لما شككت وفكرت. فما دمت أفكر فأنا موجود.

وهكذا وضع ديكارت قاعدته المشهورة: «أنا أفكر فإذا أنا موجود» وهى التى أطلق عليها اصطلاح **(الكوجيتوه cogito)** ومن هذه القاعدة استطاع ديكارت أن يثبت وجود العالم الخارجى وكذلك وجود الله بالأدلة العقلية.

٦ - النفس والجسم (ثنائية الوجود):

يرى ديكارت أن ما تراه فى هذا العالم يرجع إلى عنصرين.. إما مادى أهم صفاته أنه يشغل حيزا فى المكان. وإما عنصر عقلى وأهم صفاته الشعور والإدراك. وعلى ذلك فالعالم مكون من عنصرين أساسين هما: المادة والعقل «الجسم والنفس أو الروح» المادة وصفتها التى تميزها هى «الامتداد» فى المكان. والروح وصفتها التى تميزها هى الفكر. ويرى ديكارت أن الأجسام لا يمكن أن تتصف بالتفكير، وفى نفس الوقت لا يمكن للعقل أن يتصف بالامتداد وهكذا قسم ديكارت الوجود إلى قسمين لا وحدة بينهما: المادة والعقل.

ومــن هذا المنطلق يرى ديكارت أن الإنســان مكون من جســم وعقل أو من جســم وروح لا وحــدة بينهما: وأن هذه الثنائيــة تؤدى إلى القوة المفكرة «العقل أو النفس» لا دخل لها فى الحركات الجسمية وأن الجسم لا يتدخل فى الإدراك الذهنى.

وقــد رأى العلمــاء والباحثون أن هذه الثنائية تشــكل عائقا فى أداء الفرد لوظائفه المتكاملة. وقد حل ديكارت هذه المشكلة بقوله.. إن الجسم لا يستغنى عن الروح، والروح لا تستغن عن الجسم، وأن الله قد خلقهما وفيهما «اســتعداد» لأن يؤثر ويتأثر كل منهما بالآخر. وقد فسر ديكارت ذلك بأن الجســم يؤثــر فى النفس عن طريق الأحســاس والعاطفة، وأن النفس تؤثر فى الجسم عن طريق الإرادة.

وقد رأى ديكارت أن الوسيلة التى تساعد على توصيل هذا التأثير من النفس إلى الجسم والعكس بقوله.. إن الغدة الصنوبرية هى وسيلة التأثير بين النفس والجسم، وذلك لأنها فى مكان وسط الدماغ. وهذا الحل. كما يرى أهل التراجيديا اليونان، هو اقحام للألهة فى المواقف الحرجة التى لا يجدون لها حلا أو مخرجا.

إن ثنائيــة ديكارت قد نجحــت فى التفرقة بين الجســم والنفس، ولكنها فشــلت فى الربط بينهما، حتى الغدة الصنوبرية التى لجأ إليها ديكارت لحل المشكلة لا تستطيع حلها حلا واضحا.

وهكذا نرى أن فلسفة ديكارت تتطلب الإرادة فى كل مرحلة من مراحلها. فهذه الفلســفة اعتمدت على الشك، وهو فعل إرادى واضح وهى فى النهاية تقرر أن الخير أثر من أثار الإرادة القائمة على التفكير الصحيح.

٧ - قيمة العقل عند ديكارت:

يطلق ديكارت على مبحث العقل من فلسفته اسم: «الميتافيزيقا» التى تعتمد فى بحثها على الفكر المحض الخالص. ولذلك فهو علم تجريدى وهـذا عكس «الفيزيقا» التى يدخل فيها الخيـال لكى يوضحها وكذلك كانت «الميتافيزيقا» أكثر دقة ويقينا من «الفيزيقا».

والصفة التى تميز العقل هى الفكر، وعمله الذى يقوم به هو التفكير، وهذا التفكير يفسره ديكارت بأنه نوع من الشعور أو الوعى يلازم العقل، مثل ملازمة الإضاءة للضوء، وملازمة الحرارة للسخونة.

ومـن هـذا الربط بين التفكـير والعقل، يبين ديـكارت ماهية العقل الإنسـانى، والعقل الإلهى. فديكارت يضمهما فى مفهوم واحد مشترك وهو أن العقل عبارة عن سلسـة من الأفكار هى فى الواقع طبيعة العقل وماهيته. أما الفرق بينهما فهو أن العقل الإنسـانى محدود ونهائى، أما العقل الإلهى فهو لا محدود ولا نهائى.

ويـرى ديكارت أن دائرة العقل الإنسـانى تتسـع لأكثر من الإدراك الواضح.. وعلى ذلك ينتج أمران هما:

أ – أن الأطفال يتمتعون وهم فى بطون أمهاتهم بالعقل كنتيجة طبيعية لشعورهم بأنفسهم فى تلك المراحل من مراحل تكوينهم.

ب – أن العقل أو الأفكار تنقسم حسب جهاتها المختلفة إلى ثلاث هى:

* من ناحية الوضوح والغموض: أفكار تامة وأخرى ناقصة.
* من ناحية المصدر: أفكار كونتها أنفسنا، وأفكار اكتسبتها أنفسنا من الخارج، أفكار فطرية فينا.

* من ناحية ما تدل عليه: أعمال ادراكية، وأعمال إرادية.

ونلاحظ هنا أن الأعمال الأرادية تتوقف على الأعمال الإدراكية، بمعنى أن الإرادة لا تقوم بفعل أو عمل إلا بعد أن يمر العقل بمرحلة الأدراك. ومصدر الخطأ هنا يأتى من تدخل الإرادة فى عمليات الإدراك الصرفة.

فإذا استطاع الإنسان كبح جماح الأرادة وأجبرها على عدم التدخل فى عمليات الادراك استطاع بذلك أن يجنب نفسه فى الوقوع فى الخطأ. وعلى العموم يجب على كل إنسان ألا يتعرض لإثبات شيء ما، إلا إذا كان هذا الشيء معروفا لديه على وجه من الوضوح والدقة بدرجة تحميه من الوقوع فى الخطأ.

إن العقل هبة من الله، وهو وسيلة أمرنا بها بعد أن زوده بالدقة فى أفعاله وبالصدق فيما يقوله لنا من حقائق. والخطأ ليس من طبيعة العقل، وإنما هو أمر عارض له بسبب انحرافه أحيانا عن الطريق الصحيح.

٨ - ملاحظات نقدية على آراء وفكر ديكارت:

أ – إن شك ديكارت هو شك مؤقت اقتصر فقط على النواحى المعرفية الخاصة بالعقل دون النواحى الأخلاقية أو الدينية التى تتصل بحياة الإنسان العملية اليومية.

ب – حصر ديكارت شكه فى ثلاث مجالات رئيسية تتعلق بكل من: الحواس، والشعور، والعقل. وذلك هو نفس النهج الذى اتبعه الغزالى فى شكه قبل ديكارت.

جـ – لقد دعا ديـكارت إلى التجربة من أجل الوصـول إلى اليقين فى العلم، ولكنه لم يسـتخدمها كثيرا فى أبحاثه الطبيعية، أو حتى يضعها فى شكل رياضى يعبر عنها بالأرقام.

د – إن اليقين «الكوجيتو» ليس كافيا للوصول إلى اليقين التام لأنه يقين مؤقت فى اللحظه التى يفكر ويشك فيها ديكارت.

هـ – إن ديكارت يجعل معرفة النفس أسـهل وأيسر من معرفة الجسم. فأذا كان الجسـم غـير موجود على الأطلاق فـأن النفس «الروح» تكون موجودة بذاتها بدونه.

و – إن فكرة «الغدة الصنوبرية» التى قال إنها الرابط بين الجسم والنفس، هى فكرة خيالية تعود بنا إلى فكرة الغائية فى الفلسفات القديمة.

ز – إن فكرة الأرادة عنده انتهت به إلى فكرة الخير فى نظريته الأخلاقية.

حـ – حاول تلاميذه «أسـبينوزا، ليبتز، مال برانش» من العقليين سـد النقـص والعيوب فى أفـكار ديكارت وخاصة فـى مجال العقل وأقاموا فلسفات عقلية خاصة بهم.

❑❑❑